و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

كيف نعيش مع القرآن

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٠٩-٠٨-١٤٤٢ هـ

كيف نعيش مع القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أما بعد:

حديثنا اليوم عن عبادة دائمًا تأتي متَّصلة بالصيام، وغالبا عندما نتحدث عن الصيام فنحن نتحدث عن هذه العبادة المقترنة به منذ دخول شعبان، فشعبان يسمى شهر القراء لأننا نكثر من تلاوة القرآن ومراجعته استعدادًا لرمضان، ونريد اليوم أن نجيب على تساؤل مهم في حياتنا، ألا وهو

كيف نعيش مع القرآن؟

كثيرًا ما نسمع عن شخصيات تأثرت بالقرآن أو صحبة القرآن، الذين يتلونه آناء الليل وأطراف النهار والمصاحف لا تفارق أيديهم ونشعر بنوع من الغبطة ونتساءل كيف استطاعوا أن يصلوا لهذه العلاقة القوية مع القرآن **وماذا يمكن أن نفعل حتى نصاحب القرآن؟**

لذا تركيزنا اليوم على كيفية العيش مع القرآن، **ولماذا الحديث اليوم عن القرآن؟**

أولًا: لأن القرآن هو قرين الصيام وقد ذكرنا سابقًا في الحديث عن القيامة يأتي الصيام ويأتي القرآن، فهما العبادتين اللتين تحاجَّان عن صاحبهما يوم القيامة، وغالبًا يجيء الصيام قرينًا للقرآن في آيات فرض الصيام، ففي سورة البقرة ابتدأ الفرض بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة:١٨٣) وجاءت الآيات بعدها: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ.. ..) (البقرة: ١٨٥) فهناك قرينة بين الصيام ورمضان والقرآن ومعنى هذا الاقتران بين الصيام وبين القرآن أنه إذا جاءكم رمضان فعليكم بالقرآن، هذا التنبيه مهم لكي نعرف كيف نبدأ الاستعداد، ولذلك علينا أن نراجع حالنا مع القرآن قبل دخول رمضان.

ثانيًا: نتحدث اليوم عن القرآن لأنه ليس مجرد حروف، ولأن أجره ليس على تلاوته فقط فنحن مأجورون على التلاوة وكثرة الختمات، ولكن لم ينزل القرآن لهذا فقط، قال النبي - عليه الصلاة والسلام - «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» رواه الترمذي، وصححه الألباني .فكل حرف من هذه الحروف بعشر حسنات وهذه منة وكرم من الله - عز وجل - لأي قارئ يقرأ؛ ولذا عندما تقرأ ثلاث أو أربع صفحات أو جزء من القرآن حتى لو كانت قراءتك سريعةً أو حدرًا، فأنت تغلق المصحف بروح مختلفة عن الروح التي دخلت بها، فكم من الحسنات جاءت في ميزانك خلال هذه الدقائق، وهذا منة وعطاء من الله - عز وجل - للذين يتلون القرآن، **ولكن الهدف الأساسي من القرآن أنه هو مادة الحياة**، هو أن نعيش بهذا القرآن، ولذلك إذا كنت تقرأ هذا الكلام اليوم وبينك وبين القرآن مسافة أو لم تشعر من قبل بأنك فتحت مفاتيح القرآن أو أحسست بعلاقة بينك وبين القرآن، فالدرس مخصص لقلبك ولكل قلب بينه وبين القرآن مسافة، فنحن نريد

أن نقطع هذه المسافة ونقترب من القرآن أكثر.

وجزء من هذا الاقتراب يكون بمعرفة الأوصاف التي وصف الله - عز وجل - بها القرآن ، فالله - عز وجل - **سمى القرآن روح** في قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا)(الشورى:٥٢) فلم يقُل كتاب أو وحي فقط أو كتيب إرشادات أو قوانين حياة، وإنما سماه الله - عز وجل - روح، والإنسان له روحين الروح الأساسية هي الروح التي يأكل ويشرب ويتعامل مع الناس بهذه الروح التي لا زالت وظائفه الإكلينيكية حية من هذه الروح، ولكن الروح التي يعاقب عليها والتي يهتدي بها والتي تنير وتشرق ليست هذه الروح وإنما هي نور الوحي والتي سماها الله - عز وجل : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ)(الأنعام:١٢٢)، يقصد الله - عز وجل - في هذه الآيات من كان على قيد الحياة يعيش بين الناس ولكن قلبه ميت، حياته الحقيقية روحه ميتة لا نور ولا إشراق ولا اهتداء ولا استقامة، ميت أسود تمامًا من الداخل، فلما اهتدى بنور الله وأشرق فيه القرآن ووحي السماء ذكره الله - عز وجل - بهذه الصفة وهي المقصودة في قول الله - عز وجل-: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى:٥٢). هذه الروح هي التي يعرفك بها ملائكة السماء، (**لكل عبد صيت في السماء**) الصيت ليس هو صيتك الذي في الأرض تعرفك الناس به، الصيت هو الذي موجود في السماء بأعمالك الصالحة وما ارتفع إليهم من نور قلبك، وهذه الروح يكون إشراقها على حسب ما استقر في الجوف من القرآن، وعلى حسب ما في قلبك من الاهتداء بالقرآن ومن الاستنارة به وكم في قلبك تبيان وحياة وهداية من القرآن، إذن هذه الروح مدى إشراقها ومدى استنارتها بمدى وجود هذه الروح الثانية وليست الروح الأولى.

يقول أحد علماء التفسير في قوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ)(الإسراء:٧٩.) قال معناها ومن الليل فتيقظ به، كلمة تيقظ كأن القرآن هو الذي يوقظك من الحياة فهو يجعل لك عينين تبصر بهما الأمور فيكون لك منظار آخر ترى فيه الأمور أبعد من هذه الدنيا ومشاغلها، فالقرآن يصب في القلب معانيا لا يمكن أن توجد في أي شيء سوى القرآن ولا أعظم رواية ولا أعظم كتاب ولا أعظم أديب يمكن أن يسطر ما جاء في القرآن ولا يمكن أصلًا المقارنة ما بين كلام المخلوقين وبين كلام الخالق، لذلك هذا القرآن نقرؤه لا للحروف فقط وإنما نقرؤه لنغيِّر من أنفسنا، نقرؤه لنبني أنفسنا ونرممها ونصلح منها ما هُدم، ففي نفوسنا كسور وجروح لا يمكن أن يصلحها إلا القرآن ، ولذلك أبرك ما اشتغل به الإنسان وأعظم وأنفع ما اشتغل به هو هذا القرآن.

جاء طالب في درس أحد المشايخ وقال له يا شيخ أنا أعاني من الفتور في العبادة ونفسي ثقيلة جدًا، أتحمس قليلًا وأحضر الدروس لكن نفسي ثقيلة جدًا لا أحس أنها تطاوعني، وإذا بدأت في أي شيء أقف، أبدأ في كتاب أو في عبادة ثم لا أستمر عليها - يعني أن عزمه قليل-، فقال له الشيخ أكثر من قراءة القرآن فإن القرآن يعالج الهوى والإرادات الضعيفة والقرآن يعالج النفس الثقيلة الملولة اللي تبدأ ولا تريد أن تكمل تحب التغيير، والنفس ذات الإرادات الضعيفة لا تقدر على معالي الأمور، ثم قال في نهايته هذه الأمور كلها عالجها بالقرآن، ودعونا نقف عند هذه الفكرة أن نعالج أنفسنا بالقرآن، وكثيرًا ما نسمع من المشايخ مثل هذه الإجابة لكن قد لا يحرك فينا شيئا، فيقول البعض أنا أقرأ لكن لا أفهم ولا يتحرك بداخلي شيء، وهذه مشكلتنا أنه توجد حلقة مفقودة

بالمنتصف، وهذه أرزاق القرآن، ونفسك عالجها بالقرآن، هذه المعالجة جزء من الأرزاق المخفية والملموسة فأنت تقرأ القرآن لحروفه لكن من بركة القرآن أنه يعالج أشياء أخرى فيك قد لا تكون منتبها لها، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)(ص:٢٩). فهذا الكتاب سماه الله مبارك ما يكون فيه شيء إلا ويتبارك، أحد المشايخ القراء كان له لقاء قبل رمضان ويسألونه عن القرآن، قال كلمة استوقفتني، قال: "**إنك إن أخلصت مع القرآن في رمضان ستجد بركة ذلك طيلة العام فالقرآن نور وهذه الأنوار التي أخلصت فيها ستمشي معك طوال العام**"، فقضية الانتكاسة التي تحدث في شوال فما إن ينتهي رمضان حتى ينفلت الناس ولا نعلم من يُمسِك نفسه ومن يتوب ومن يعود للمعصية، ولكن إن أنت أخلصت مع القرآن في هذا الشهر بالذات فبركة الأنوار التي دخلت في قلبك ستكون مستمرة معك طيلة العام، وهذا شيء من الأرزاق المخفية وشيء من بركة القرآن التي نتحدث عنها.

ثالثًا: الكثير من الناس يفتحون المصاحف ثم يغلقونها وقد قاموا عنها بزيادة في الإيمان، وهناك أناس يفتحون المصحف ويغلقونه دون أن يتغير بهم أي شيء، وقد يقرؤونه وهم مشتتون يفكرون في شيء آخر، ولذلك نحن على يقين أن هناك أناس منا يقرؤون القرآن فيرفعهم به الله - عز وجل - درجات وهم في مجالسهم الدنيا، فإذا حملوا هذه المصاحف وبدؤوا بقراءة للقرآن يستودعون الله -عز وجل - ذلك النور الذي يقرؤونه. من أسماء القرآن النور والوحي والروح فأنت تستودع الله - عز وجل - هذا النور الذي سيدخل في قلبك، وأنت تتخيل مشهد، وهذا المشهد دائمًا لصيق في القرآن، في يوم القيامة حينما تنكسف كل الأنوار فتسجر الشمس والقمر فلا يكون هناك أي نور ويؤتى الناس أنوارهم بإيمانهم وبقرآنهم فيكون نورك الذي معك بمقدار هذا النور الموجود من هذا الوحي الذي استقر في قلبك. ولذلك نسأل الله - عز وجل - أن يجعل القرآن لنا نورًا يوم تطمس الأنوار، ولذلك **في كل مرة تفتح المصحف تذكر أنك تستزيد من نورك لذلك اليوم الذي تطمس فيه الأنوار**.

وإذا كان سؤالنا الذي نريد الإجابة عنه هو **كيف نعيش مع القرآن؟**، فسنلخص الكلام **في خمسة مفاتيح** وهذه المفاتيح بسيطة سهلة بدهية ليست معقدة، هذه الخمسة مفاتيح ستجعل علاقتك مع القرآن مختلفة:

المفتاح الأول: فرِّغ نفسك للقرآن.

التهيئة النفسية للقرآن أمر مهم جدًا؛ لأننا كما قلنا لا نريد أن نقرأ القرآن لمجرد أجر الحروف فقط، وهذا بالطبع جميل وعظيم ونطمع فيه ولكننا نطمع للأفضل والاستزادة دائمًا ونحاول أن نبني علاقتنا مع الله - عز وجل - ونتقدم خطوة تلو الخطوة، دعونا هذه السنة نستعد لرمضان كي تكون لنا علاقة فيها نوع من المزيد من القرآن فنريد أن نقرأ قراءة تغيرنا وتقلبنا وتغير مزاجنا وتغير في شخصياتنا، ونجعل هذا التحدي الآن معنا في القرآن خصوصًا في رمضان هذا لا نريد أن نخرج منه بنفس النفس التي دخلت في أول الشهر .

ابن مسعود يقول: القرآن إذا وقع نفع. قاعدة مهمة قد نكون سمعناها ولكن لم نتوقف عندها، القرآن إذا وقع في القلب نفع ما وقع في القلب فلا نفع، إذن إذا لم ينفذ القرآن إلى الداخل ما نفع، فيكون

الإنسان مأجورا على التلاوة فقط، ولكن التغيير الحقيقي الذي يبني ويرمِّم يكون عندما يدخل القرآن القلب، ولكي يدخل القرآن إلى القلب فلابد أن نعمل التخلية قبل التحلية، فلا يتعطَّر الإنسان على جسد غير نظيف فمهما تعطَّر فلن ينفعه، ولذلك علماء السلوك يقولون التخلية قبل التحلية.

إذن إذا أردنا أن ننتفع من هذا القرآن فلابد من تهيئة المحل أي تهيئة القلب، ونبدأ نتحدث عن فراغ نفسي ونبدأ نهيئ القلب لهذا الوحي، ولذلك من الضروري ألا نقرأ القرآن بقلوب باردة وباهتة، فالبعض يقرأ لكن من دون إحساس ولا مشاعر فلا يرجف خوفًا أو شوقًا أو محبة، يقرأ القرآن يرجو الأجر وقد يقرأ التفسير ولكن دون أن يدخل إلى القلب، هذه القلوب الباردة أو الباهتة تحتاج أن ننظفها فالله - عز وجل - لم يخلقنا بقلوب باردة أو باهتة، ولم نولد بقلوب قاسية أو سوداء، ولكن ماذا فعلنا في قلوبنا لتصبح هكذا؟ وكثير من القلوب سرقها الشيطان وانشغلت بالدنيا، ولهذا يجب أن نعيدها نظيفة كما كانت، وقد جعل الله - عز وجل - مستقر سؤال العبد عن إيمانه في قلبه، حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم« رواه مسلم. فالقلب هو محل النية، ويجب علينا أن نقربه من القرآن، ونبدأ بتنظيفه وتطهيره وتهيئته للقرآن،

فكيف نبدأ هذا التطهير؟

أولًا: قاعدة أكررها دائمًا، القلب موجود في الداخل مغلق عليه في القفص الصدري فهو لا يتعامل مع الدنيا لوحده، والوسيلة الوحيدة لتخليته أو لتحليته هي من خلال ما يصل إليه وهذا موجود في القرآن ما يأتي لفظ القلب إلا ومعه السمع والبصر مثل في قوله تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ((الأعراف:١٧٩) أو قوله عز وجل: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ((الأحقاف:٢٦). دائمًا هؤلاء الثلاثة يأتون مع بعض، فالفؤاد هو محل ونتيجة والنتيجة هي ما تسمع وما ترى، التنظيف يبدأ من السمع والبصر، فيجب أن نحذر من أن نرى أي عورة أو أي منظر غير لائق في فلم أو مسلسل حتى لو كانوا زوجين -وهم في الحقيقة ليسوا كذلك- أو أي شيء لا يرضي الله -عز وجل-، على الأقل الآن في سياق التهيئة لرمضان نظِّف قلبك كي لا تدخل في رمضان وأنت تتذكر مشاهد أو مواقف حدثت لمشاهير وما يتخاصم ويتجادل عليه الناس، حاول أن تلبس نظارة فلا ترى إلا ما يرضي الله - عز وجل -، وأيضا الأذن وما تسمع، احمِ سمعك واحمِ عينك لكي يستنير قلبك ويشرق، وهذه أولى مراحل التطهير.

ثانيًا: لا تشتت نفسك خلال هذه الفترة بكثرة سماع المحاضرات وقراءة كتب في مجالات مختلفة، حاول أن تركز على شيء واحد فقط: رمضان والقرآن. اقرأ واسمع عن رمضان والقرآن، حاول أن تسمع كل المحاضرات وتقرأ كل الكتب التي تتكلم عن معاني القرآن وحب القرآن وكيفية تدبره، عن أناس عاشت مع القرآن، مع سورة يوسف وقفات فيها، مع مثلا مسلكيات، رقائق القرآن مثل هذه الكتب التي تجعلك تنظر للقرآن بنظرة أخرى وتجعل القرآن له وقع مختلف، أهل التربية يقولون: من أراد الله أن يفتح عليه بأمر فلابد أن ينصرف انصرافًا كليًا له. لو كنا نريد ننتفع بالقرآن فلابد أن نبدأ بالاشتغال به ونصرف وقتنا المتبقي من شعبان في السماع له، ولذلك لو ركزنا الآن في خلال المرحلة القادمة أن نسمع فقط عن القرآن، وكيف نتلذذ بالقرآن، نركز على حضور محاضرات عن

القرآن في هذه الأيام، ومجالس التدبر أيضًا تثري هذا الجانب، لا تنتظر رمضان أن يأتي لكي تسمع أو تقرأ بل ابدأ من الآن بتهيئة قلبك لرمضان.

ثالثًا: جزء من تهيئة القلب هو سماع القرآن، فحدد لنفسك وقتًا له، في هذه الحياة السريعة التي نركض فيها كأن أحدهم يجري خلفنا ولا نملك وقتًا لنجلس ولو لربع أو نصف ساعة نستمع للقرآن يجب أن نجاهد أنفسنا ونحدد وقتًا للقرآن، حاول أن تستمع لأي قارئ من كبار القراء مثل المنشاوي أو عبدالباسط عبدالصمد أو أي قارئ معين تحب أن تستمع له، يتميز هؤلاء القراء أن أصواتهم كأنها من السماء، فالاستماع يشعرنا أن القرآن يخاطبنا جرِّب أن تسمع. قال الله عز وجل: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ)(الأنفال:٢٣) ،**فكانوا يقولون إذا أنت سمعت الخير فاعلم أن الله أراد بك خيرا**، وإذا وجت نفسك منصرفًا فاحذر وخَف من هذا الصرف، حتى السماع نحن مأجورون عليه ولذلك هناك كثير من المعاني والخواطر قد لا تخطر ببالك في قراءتك العادية، وصلاة التراويح عندما نسمعها مع الشيخ نمر على بعض الآيات وكأننا نسمعها للمرة الأولى، فتمر مثلًا سورة الأنبياء، وكأنك أول مرة تستشعر الأنبياء وهم يدعون الله -عز وجل- والله -عز وجل- يقول في كل واحد :"فاستجبنا له"، إحداهن تقول أنها سمت ابنتها مريم من صلاة التراويح عندما سمعت سورة مريم وتقول كأني لأول مرة أسمعها، في الاستماع أشياء ليست كقراءتنا العادية لا تأتي إلا بالسماع.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: « اقرأ علي » قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري » رواه البخاري. رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي من بيته إلى ابن مسعود يقول له تعال أقرأ علي القرآن، إذن أين نحن عن هذه المجالس التي يُقرأ فيها القرآن؟، يقول الله عز وجل: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(الأعراف:٢٠٤). جاء في تفسيرها يقول الليث بن سعد: ما الرحمة أسرع إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن ثم استشهد بهذه الآية.

فهذا الاستماع يذيب قلبك، قلوبنا الجامدة قد لا تقوى عليها القراءة النظرية فقط ولكن تحتاج إلى الاستماع للقرآن، وإذا كنا نريد أن نقوم بعمليات ضخ قلبية وعمليات إنعاش فنحن نريد أن نأتي لهذا القلب من أكثر من زاوية.

المفتاح الثاني: القراءة.

الآن نريد أن نركز على موضوع القراءة لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان »رواه مسلم.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) رواه أبو داود وصححه الألباني. (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها» رواه الترمذي، وصححه الألباني. كل هذه الأحاديث الكثيرة في الأمر بقراءة القرآن يجب أن نضعها كلها في سياق مشهد واحد نراه نصب أعيننا كلما فتحنا المصحف، مشهد أهل الجنة وهم يدخلون كلهم من البوابة على مستوى واحد - طبعًا لا نستطيع أن نتخيل الجنة لأنها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - فإذا تكاملوا بدأ الارتقاء والتصعيد، "يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها" رواه أبو داود، وصححه الألباني. كأنه يقال له أعد ما كنت تفعله في الدنيا فالناس دخلوا الجنة والآن يبدأ التصعيد ويبدأ هؤلاء بالارتقاء بكل آية يقرؤونها إلى أن يصلوا إلى الآية الأخيرة عند آخر آية كانوا يقرؤونها أو يرتلونها، إذن هذا الارتقاء في منازل القرآن يكون على ما استقر في قلبك وعلى ما عشت به من القرآن، ولذلك القرآن تكتب به الحسنات وتمحى به السيئات، فهذا الكتاب الذي تقرؤه ليس بالشيء الهين، فالمعراج الأخروي هو مرتبط بالقرآن، تذكر هذه الكلمة أن معراجك في الجنة، أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ومن أهل الفردوس، معراجك الأخروي في الجنة سيكون على قدر ارتباطك بهذا القرآن وحروف القرآن، ولذلك استدل العلماء أن منازل الجنة على قدر آيات القرآن، فكلما أحسنت صحبة القرآن في الدنيا يحسن الصحبة لك في الآخرة.

قلنا أن القرآن والصيام هما العملان الوحيدان اللذان يحاجان عن صاحبها فلا يتركك القرآن حتى في دخولك الجنة، ولذلك إذا لم يكُن لديك شيء تشغل به نفسك، فعليك بالقرآن فلا شيء في الدنيا أعظم وأبرك وأكبر يمكن أن يشغل به الإنسان نفسه من القرآن، فالقرآن يسحبك إلى أن يبلغك المنزلة الأخيرة في الجنة، فأي صحبة أعظم من هذه ، لا يوجد أي إنسان ممكن أن تصحبه في الدنيا ويفعل لك ذلك، فلنضع هذا المشهد نصب أعيننا فهناك من سيدخل الجنة ويبقى حيث هو، وهناك من يرتقي لأعلى الدرجات، فأين تريد أن تكون؟

هناك قلب مفرغ ومهيأ ومحب يقرأ بثقة ويقين، وهناك قلوب تشك في القرآن فترى أحدهم يقرأ نصف السورة ويتذمر لأن الألم لم يذهب فشتان بين القلب الواثق والقلب الشكاك، ولذلك لما امتدح الله - عز وجل - المؤمنين في سورة فاطر قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ)(فاطر:٢٩). ولم يقل الذين تلوا كتاب الله أو حفظوه فقط، استخدام الفعل المضارع "يتلون" يفيد الاستمرارية والديمومة، فهذا حالهم منذ أن كان عمره ١٥ سنة حتى أصبح عمره ٩٠ سنة وهذا مصحفه وهذا هو حاله مع القرآن، فهؤلاء يتلون باستمرارية فلم يهجروا أو ينصرفوا عن القرآن ولم يتشاغلوا عنه ولم يكن لديهم أعذار أو مبررات لكي يهجروا القرآن، وقد نرى بعض الناس آخر ما قرؤوا القرآن في رمضان الماضي، أما فترة الحجر فضاعت، فهل هذه علاقة صحيحة مع القرآن؟ بالطبع لا، ولذلك إذا كانت البيوت وهي واسعة مقابر ومحابس على أهلها لأنهم لا يقرؤون القرآن فهذه البيوت التي لا يوجد فيها أي شخص لا طفل صغير ولا رجل كبير يقرؤون القرآن أو يرددونه، فتنقلب هذه البيوت على أهلها ضيقًا ونكدًا. **قال أبو هريرة رضي الله عنه : (وإن البيت ليضيق بأهله وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)**. فالملائكة تخرج وتحضر الشياطين في هذا البيت ويقل خيره ألا يُقرأ فيه القرآن، إذن هذا البيت الذي يضيق على أهله، وتراهم لا يجلسون فيه مهما كان جميلًا فهم يشعرون أنهم في زنزانة ويريدون الخروج طوال اليوم والعودة للنوم فقط، فهذا البيت يشعر

أهله بالضيق ويفارقهم الأنس بحضور الشياطين وذهاب الملائكة.

من الأوصاف التي وصف الله - عز وجل - بها القرآن، أنه عزيز (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ)(فصلت: ٤١) **ومعنى كلمة عزيز أي أنه لا يأتيك إلا أن تأتيه أنت بكلك**، فما يأتيك القرآن بخيراته وأرزاقه فهو كتاب عزيز لا يُوصل إليه إلا من جاء وبذل جهده للوصول إليه أما مجرد أن يعتقد الإنسان أن يأخذ من خيراته بقلبٍ بارد وغير مستشعر لمعانيه فالجواب: لا، لذلك إذا رأيت نفسك وأنت منقطع عن القرآن أو أن قلبك بارد تجاه القرآن فلا تظن أن هذا أمر عادي! بل قد يكون هذا شيء من الحرام وهذا شيء قد تحتاج أن ترجع وتعالج نفسك فيه، فلماذا تكون علاقتك بالقرآن هكذا؟ لماذا لا تهيج مشاعرك بقراءته؟ راجع نفسك واحذر من قسوة القلب، فلا يُحرم الإنسان من طاعة الله - عز وجل - والقرآن خاصة إلا إذا كان قد حرمه الله، لأن هذا عطاء والقرآن توفيق.

في بعض الآثار أن الله إذا أحب العبد بعيه من فراشه -أي أيقظه - لأنه يحب أن يسمع صوته ويحب أن يقيمه بين يديه، ولذلك عندما ترى نفسك محرومًا من هذا القيام ومحرومًا من هذه العلاقة ومن التغني بالقرآن فاعلم أن هناك شيء يحتاج معالجة؛ فبمقدار محبة الله لك بمقدار محبتك أنت لكتابه، كل ما كنت تحب كتاب الله كل ما كان مقدار حب الله لك، فإذا لم يكن بينك وبين القرآن علاقة، فيجب أن تخاف على نفسك!

أحد المشايخ علّق في درس له على الناس الذين تغلق عليهم أبواب الطاعة ويشعرون أيضًا بأنها ثقيلة عليهم، فهؤلاء قلوبهم مصروفة وكأنها حجر قاسٍ لا يتحرك، فقال: **لا أعلم حلًا ولا أعلم علاجًا لهذا الشيء إلا شيئًا واحدًا فقط قال: ابكِ بين يديه كي يقيمك وابكِ بين يديه كي يعيدك وابكِ بين يديه كي يجتبيك فإنك إن صدقت فإنه لا يردّك**. فعندما ترى قلبك قاسيا وجامدا ولا تذكر متى قرأت القرآن آخر مرة فنزلت منك دمعة أو استشعرت حتى الآيات التي تقرؤها، فابكِ بين يدي الله -عز وجل- كي يقيمك وابكِ بين يديه كي يعيدك - يعيدك أي يرجعك له - وابكِ بين يديه كي يجتبيك وتكون أنت من أهل القرآن، فإنك إن صدقت فإنه لا يردك، وحاشا لله أن يرد من أتاه.

ومن فضل الله علينا أن يوفقنا لمثل هذه الدروس سواء كانت سماعًا أو بلاغًا أو على الأقل أن نحاول تطبيقها لأن الله - عز وجل - إذا أراد بعبدٍ خيرًا أسمعه ما ينفعه وهذا من رحمة الله عز وجل بنا.

فائدة هذه القصة: إن القلب إذا اعتاد الورود على القرآن ستلحقه بركته عند اللحظة الأخيرة وهذا مجرب! فإذا كان القرآن لا يتركك يوم القيامة ولا يتركك حتى في الجنة فهل يتركك في لحظات النزع وسكرات الموت؟! لا.

وهذا هو المفتاح الثاني وهو أن تبني لك علاقة مع القرآن وأن تكون قارئًا للقرآن فتُكثر من تلاوته.

المفتاح الثالث: هو الدعاء والاستعانة.

كل شيء نحتاج فيه التوفيق من الله - عز وجل - فلا نستطيع أن نمضي فيه لوحدنا، وهذا أصعب ما يقاسى في الطريق إلى الله - عز وجل -، أنه لا يُقطع بمشي الأقدام ما يُقطع، فليس السريع فينا يمشي أسرع، الطريق إلى الله يُقطع بوجيب القلوب، وجيب القلوب يعني استغاثاتها حركاتها نداءاتها، ولذلك إذا أردت أن يفتح عليك بالقرآن وأن تعيش مع القرآن فلابد لك من العون، ولذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقول في دعائه الذي يكرره في الصلاة بعد التشهد الثاني وعلّمه معاذ: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) ومنه دعاؤنا الذي أخذناه في الدروس الماضية (ربّي أعني ولا تُعن علي وانصرني ولا تنصر علي) ولذلك لما أراد النبي - عليه الصلاة والسلام - أن ينصح ابن عمّه ومن أحب الناس إليه عبدالله بن عباس قال له: إذا استعنت فاستعن بالله، وطبعًا أحوال النبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا كثيرة وهو يستعين بربه، منها في غزوة بدر عندما كان يستغيث الله - عز وجل - ويستعينه في أمر جهاده للكفار، إذًا هذه الاستعانة كان يستعين فيها النبي - عليه الصلاة والسلام - في صلاته ويستعين بها في أحوال دنياه وفي جهاده وفي تفكيره وفي معاملاته مع الناس؛ إذًا نحن نحتاج أيضًا إلى هذه الاستعانة ومعنى كلمة الاستعانة لأننا بدونها يكلنا الله إلى أنفسنا، فلو قلت أنك لا تحتاج أن تستعين وأن الموضوع قرار شخصي يحتاج منك بعض التركيز فقط، فلو وكلك الله إلى نفسك، وكلك إلى ضيعة وعوار ووكلك الله إلى نفسك ونفسك هذه قد تتغير وتنقلب في ثانية، ولذلك نحن ندعو في دعائنا اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين لأن الإنسان لو اتكل على نفسه ولو للحظة فلا نتخيل ما يمكن أن يحدث له، فهو لا يملك حتى أنفاسه ونبضات قلبه، فإذا وكلنا إلى أنفسنا فنحن مهددين من قبل **خمسة أخطار**:

النفوس المتذبذبة: حماستنا تشتعل مرة ثم تنطفئ وقلوبنا تستقيم مرة ثم تزيغ وتميل فلا نستطيع أن نكل أنفسنا إلى هذه النفوس.

العزائم المنفسخة: فنفوسنا فيها عزائم منفسخة، فقد ننوي اليوم أن نفعل شيئًا غدًا ونستيقظ في اليوم التالي فنقول لا طاقة لنا اليوم لهذا الفعل، الفاصل بينها وقت قليل جدًا قد يكون خمس ساعات، مجرد نومة كانت كفيلة بتغيير رأينا وفسخ عزيمتنا، ولذلك من استعدادات شعبان كنا نقول: تهيئة العزيمة.

الشيطان: وكذلك هناك شيطان يتحسس، يوجد شيطان شُبه في بعض الأثار أن له مثل الخرطوم، مثل السماعة التي يضعها الطبيب على القلب، الشيطان هذا له مثل الخرطوم يتشمم فيها الإنسان! فأينما وجد فيه ضعف دخل منه! فيبحث عن نقاط ضعفك ويتحسس ويتشمم الإنسان حتى يعثر على نقاط ضعفه التي يمكن أن يدخل من خلالها.

خواطر القلوب: وهناك أيضًا خواطر تدور في القلب، هذه الخواطر قد تكون ظن السوء أو تكون حسد أو ظلم أو أي شيء من الخواطر التي تكون في منكر أو معصية، كأن يفكر أحدهم أن ليتني لم أكُن مسلمًا أو ليتني أسلمت وأنا كبير في التسعين من عمري مثلًا! هذه الخواطر أحيانًا قد تخرج الإنسان وتدخله في الملة، هذه الخواطر لو وكلنا الله إليها لوكلنا إلى ضعف وضيعة.

العوائق والمشاغل: نحن طوال الوقت ما بين صوارف وشواغل وعوائق، فما إن يفتح أحدنا المصحف بنية

أن يقرأ قراءة صافية حتى تأتيه المشاغل من كل مكان فيرن الهاتف لمكالمة مهمة أو يأتيه أحد لمناقشة موضوع مهم، فنحن بين شواغل وعوائق فلا نستطيع قطع هذا الطريق لوحدنا، ونحن هنا لا نتحدث عن محرمات ولكن عن مشاغل الحياة اليومية، فإذا كانت حياتنا اليومية بهذا الانشغال فمتى ستصفو نفوسنا؟ نحن نحتاج هذا المد وهذا العون من الله - عز وجل - فنحن ضعفاء ومحاطون بالضعف ومهددون بالضعف؛ لذلك العباد يتقلبون ما بين توفيق الله وخذلانه.

مطرف بن شخير من علماء التابعين يقول: "**لو أخرج قلبي وجعل في يساري، وجيء بالخيرات كلها ووضعت في يميني، لم أستطع شيئًا من الخيرات في قلبي إلا أن يكون الله وضعه**"، يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يضع في قلبه شيء، وحده الله تعالى قادر على ذلك، ونرى هذا كثيرًا عندما نستمع لمقطع ثم نقول أنه لم يُغيِّر فينا شيئًا، فالقضية ليست هل الأمر يسير أم لا، بل القضية هي أن الله -عز وجل- إذا لم يأتِ به لن يأتي! ولذلك نرى أحيانًا أشخاص قريبون منا ونحبهم نتمنى لو نستطيع مساعدتهم ولكن (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(القصص:٥٦)

ليت الإيمان سهلًا يدخل القلوب بسهولة كما يدخل الطعام للمعدة، ولكنه ليس كذلك، فإذا كانت نفوسنا تأبى علينا فكيف بنفوس الآخرين؟! إذا فهمنا هذا الضعف فهمنا إذًا معنى(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة:٥) لا يمكن أن تمر بك مرورًا عاديًا بعد الآن، فهل تنوي قراءة القرآن بعد صلاة العصر إذًا وأنت في صلاة العصر تقرأ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) يارب عونك ومددًا من عندك، أنزل علي معونتك وتأييدك، هذا الشعور الدائم بالاستعانة بالله في كل لحظة من حياتك، فدون هذه الاستعانة لا نستطيع على شيء، ومن أعظم أنواع الاستعانة هو هذا الدعاء (**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك،أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي**)، نحن نعرف أن هذا الدعاء هو دعاء الهم والغم ونقوله إذا شعرنا بالهم والغم، لكن هذا الدعاء بالذات ينقلنا إلى مرحلة أخرى وهي أن لا تتأثر بهموم الدنيا لأن ربيع قلبك موجود في داخل قلبك؛ لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عندما أدخلوه في سجن القلعة قال: **أنا ما يفعل أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري** - أي القرآن معي موجود ختمه خلال حبسه أكثر من ٨١ مرة يختمه تلاوة، فمم يحرمونه؟ الحرمان من دنيا نعم ولكنه لا ينافس في الدنيا أصلًا، الحرمان الحقيقي هو الحرمان من هذا النور الذي في القلب،

إذًا عندما ندعو الله - عز وجل - أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا يجب أن نكون على يقين أن الله - عز وجل - سيجعله ربيع قلوبنا، لذلك لا تنسى هذه الدعوة عند فطرك الآن وأنت تصوم شعبان لأن للصائم عند فطره دعوة لاترد، اجعل هذا الدعاء من ضمن الدعوات التي تُخبئها لأوقات الاستجابة، أن الله تعالى يغيّر كينونة قلبك فيجعل القرآن العظيم ربيع قلبك.

فصاحب القرآن يتلذذ به كما يتلذذ أهل البساتين ببساتينهم، فأحيانًا تجد في القرآن آية كأنها تخاطب قلبك وتجد بالقرآن آية كأنها تتكلم معك شخصيًا بموقف الآن حدث لك،

وعندما نقرأ في سورة تبت يدا أبي لهب وتب نعتقد أن لا علاقة لنا بها فموقف أبي لهب مع النبي - عليه الصلاة والسلام - معروف، ولكن أحيانًا نقرأها في مواطن أخرى في مواقف شخصية، فتكون هذه السورة بالذات مثل البلسم، كيف؟؟ الله أعلم،

ومن الناس الذي كان القرآن ربيع قلوبهم أم أيمن حاضنة النبي - عليه الصلاة والسلام - عندما دخل عليها أبو بكر وعمر بعد وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - يزورونها وهذا من حسن الصحبة، فلما دخلوا عليها وجدوها تبكي وهي كبيرة فقالوا: أتبكين؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أما والله أعلم ما عند الله خير لنبيه لكني أبكي على انقطاع خبر السماء، أم أيمن فهمت أن القرآن ليس فقط كتاب يُختم بل هناك علاقة بيننا وبين القرآن، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يمسي الواحد منهم ويصبح مسرعًا للمسجد يريد أن يعرف ماذا نزل اليوم من القرآن، كانوا يخافون أن يذنب أو يخطئ أحدهم فينزل القرآن فيه، كانوا يعيشون مع القرآن لأنه عليهم تنزّل، فهؤلاء يشعرون أن القرآن بالفعل هو في ربيع قلوبهم ولذلك الإنسان يجب أن يستكثر من هذه الدعوة (**اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي**).

المفتاح الرابع: أن تزيد معرفتك بالقرآن

فالقرآن كلما ازددت معرفة فيه كلما استطعت أن تقرأ بشكل صحيح أكثر، وهذه المعرفة هي التي نريد أن نتحدث عنها،

وهي مرحلتين، مرحلة فهم المعاني كأن تقرأ في تفسير مختصر ثم تفسير أطول قليلًا ثم تفسير تربوي مثل الشيخ السعدي وقد تقرأ كتاب خاص في أسباب النزول أو تحضر دورات خاصة في أسباب النزول، أو في كتاب الرادعي مختصر في أسباب النزول فهذا الكتاب فيه الأحاديث الصحيحة التي تخبرنا عن سبب نزول كل آية نزلت في القرآن، هذه المعرفة في سبب النزول ومعرفة الوقائع التي نزل فيها القرآن تجعلنا نقرأ القرآن بطريقة مختلفة تمامًا، وحينها سنعرف أن معرفتنا التي نستند عليها منذ الصغر لا تساوي قطرة في بحر، فقلّة علمنا هي التي تجعل قلوبنا باردة وكلما ازددنا علمًا ومعرفة ازداد فهمنا وتأثرنا بالقرآن، النبي - عليه الصلاة والسلام- يقول: «إنَّ للَّهِ أَهْلينَ منَ النَّاس قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هُم ؟ قالَ : هُم أَهْلُ القرآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وخاصَّتُهُ»،

وأهل القرآن هم أولئك الذين يعيشون معه ويبحرون فيه من الداخل، قال ابن مسعود: (**القرآن مأدبة الله فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم**)، فكان الصحابة ينهلون من هذه المأدبة وكل واحد منهم يسابق في معرفة القرآن، علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: (**سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار بسهلٍ أم بجبل!**)، وهو لم يكُن مرافق للنبي - عليه الصلاة والسلام - ٢٤ ساعة، فهذا يعني أنه بذل

جهد إضافي لتتبع الآيات إلى أن عرف كل آية فيمَ نزلت ولمن نزلت، فهل تستطيع أن تقول مثل كلامه؟ ونحن الآن في عصر المعلومات كل شيء متوفر، فهل تعرف القرآن كما يعرفه؟ من المحزن أن نخرج من الدنيا ونحن لم نتلذذ بالقرآن! ولم نعِش في أسباره ولا سبرنا أغواره، ولذلك السلف عندما قالوا: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أحلى مافيها، قالوا: وما أحلى مافيها، قالوا: معرفة الله وذكره، لهذا يجب أن يكون لنا نصيب من تلاوته وتفسيره وفهم معانيه وأسباب النزول.

ومن أجمل المصاحف والذي كان له الفضل بعد الله - عز وجل - في أني أصبحت أقرأ الوجه من السورة، لأني أستطيع أن أربط هذا الوجه بالخطوط والسطور التي تحمل تاريخ وتحمل قصص وتحمل أسباب نزول، وهو مصحف لطيف من الجلد بحثت عنه في كل مكان ولم أجده، مصحف مفسَّر وبجانبه التفسير وفيه أسباب النزول فكنت عندما اقرأ أسباب النزول وأنا في المرحلة الثانوية كنت أندهش فهناك آيات كثيرة لها أسباب نزول وقصص وصحابة وتحمل الكثير من المشاعر، لم أكن أتخيل أن الوجه الواحد فيه هذا الكم الهائل من أسباب النزول فعندما تقرأها في مصحفك وتمر على أي كلمة لا تفهمها تقرأ التفسير الموجود بالجانب ثم تنظر لأسباب النزول، وهكذا تعيش مع القرآن بطريقة مختلفة، وبالطبع حين نقرأ بهذه الطريقة نستغرق وقتا أطول ولكن هذا ضروري لكي لا تكون معرفتنا بالقرآن معرفة حرفية فقط، فلا لغتنا العربية تسمح ولا معلوماتنا بالقرآن والتفسير تسمح، بل نحتاج أن نعرف أكثر، فحاول أن تسمع أو تقرأ عن أسباب النزول وهذا شيء عظيم وجميل جدًا،

وللشيخ الوادعي كتاب رائع يمكنك أن تقرأه فيه جلسة واحدة لأنه ممتع ولأن أسباب النزول عبارة عن قصص، وهذا الحديث كله عن المعرفة الأولى.

أما المعرفة القرآنية التي نريد أن نزيدها فهي أن نعرف هذا القرآن من أين نزل وكيف نزل؟ نزل من عند الله - عز وجل - ولكن كيف؟ عن طريق جبريل - عليه السلام -، فهل سبق لك أن قرأت عن صفة نزول القرآن على جبريل قبل أن ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام؟ في الحديث: « إنَّ اللهَ تعالى إذا أراد أن يأمَرَ بأمرٍ تكلَّم به، فإذا تكلَّم به أخذتِ السَّماءَ رجفةٌ - أو قال: رعدةٌ - شديدةٌ» رواه أبو نعيم في الحلية، وقال غريب. يعني إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي رجفت السماوات السبع وتضاربت ثم صار لها صوت مثل صوت جر سلسلة الحديد! فإذا سمعت الملائكة ذلك الصوت ضربت بأجنحتها، فالملائكة أجنحتها مفرودة فإذا سمعت الصوت عرفت أن الله سيتكلم بالأمر من الوحي فتضرب جميعها بأجنحتها فتخضع وتذل كل الملائكة في السماوات السبع، يقول النبي - عليه الصلاة والسلام : «أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله » رواه الترمذي، وحسّنه الألباني.

هؤلاء كلهم يضربون بأجنحتهم عندما تنزل آية أو تنزل سورة، تأخذهم صعقة فيُصعقون جميعًا فأول من يستيقظ منهم جبريل -عليه السلام- فيتلقى الوحي من الله -عز وجل- فينزل به على النبي - عليه الصلاة والسلام -، فكل ملك من السماوات يمر عليهم فيقولون: ماذا قال ربنا؟ يشعرون بالخوف، ما هي الأوامر؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، فيمر على السماء الدنيا فيقولون: ماذا قال ربنا؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير، عندما نسمع مثل هذه الكلمات ونعرف مثل هذه التفاصيل، جبريل - عليه السلام - الذي في لحظة صُعق ومات له ٦٠٠ جناح كل جناح منها يسد ما بين الأفق كيف كان هو يستقبل هذا القرآن كيف استقبله النبي - عليه الصلاة

والسلام -، واقرأ كيف يصف الصحابة النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو يتلقى القرآن فيقولون كان جبينه يتصبّد عرقًا في اليوم البارد شديد البرودة، أحد الصحابة كان بجانب النبي -عليه الصلاة والسلام- والنبي - عليه الصلاة والسلام - كان متربعا وركبته على ركبة الصحابي يقول الصحابي: والله خشيت أن تُرضّ فخذي - أي تنكسر- من شدة الثقل الذي كان يشعر به من ثقل النبي -عليه الصلاة والسلام-.

الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: ما من مرة يأتيه جبريل - عليه السلام - إلا ويشعر أن روحه ستخرج يشعر أنه روحه ستقبض من شدّة الثقل لهذه الآيات التي نزلت، هل نستطيع بعد هذا أن نقرأ القرآن بقلب بارد؟! نحن لا نعطيه حقه والسماوات السبع ترجف له، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يتعرّق عرقا شديدا ثم نحن نقرؤه بقلوب باردة باهتة ولا يكون لنا مع القرآن صحبة؟!

هذا ما نريد معرفته أكثر، اقرأ أيضًا كيف جُمِعَ القرآن؟ اقرأ بالتفصيل عن كل آية، واقرأ عن الآيات التي لم يجدوها وأين بحثوا عنها، اقرأ عن الآية التي لم يجدوا إلا صحابيا واحد يقرؤها ثم جعلوا شهادته بشهادتين، واقرأ السبب لماذا شهادته بشهادتين؟ عندما تقرأ وتتعلم أكثر سوف تشعر بأن بين يديك كنز محفوظ، ومن الأشياء الجميلة التي يمكن أن تقرأها هي مقدمة ابن كثير، فغالبًا ما ندخل في تفسير ابن كثير مباشرة، ولكن جرب أن تقرأ المقدمة التي فيها فضائل القرآن وجمع القرآن ومراتب القرآن ونزول الوحي، فالمقدمة جميلة جدًا ومن الأفضل قراءتها مصححة كي تأخذ الأحاديث الصحيحة، وهذا هو المفتاح الرابع.

المفتاح الخامس والأخير هو:أن تهيكل القراءة

وهيكلة القراءة هي أن تنتبه كيف تقرأ القرآن ويمكن اختصارها بخمسة أشياء:

١ - خصص لك مصحفا، قد ترى أن هذا أمر عاديا، ولكن هذا التخصيص يجعل لك انتماء مع هذا القرآن.

٢- صحح نيتك، فنيتك يجب أن لا تقتصر على القراءة لأجر الختمة فقط، بل يجب أن تتضمن نية الانتفاع به، قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)(الإسراء:٨٢). في آية واحدة قرآن واحد، بعض الناس زادهم الله - عز وجل - شفاء ورحمة وهدى وبعض الناس زادهم لكن ما زادهم إلا خسارا! إذًا القرآن واحد ولكن كل إنسان يستقبله بطريقة مختلفة.

3- البسملة والاستعاذة، وهذا أمر مهم جدًا، فأحيانًا نبدأ بالقراءة مباشرة، وبمجرد أن نفتح القرآن يأتي الشيطان، ولهذا فالاستعانة والبسملة أمر مهم، وقد يوسوس لك ويشعرك بالنعاس الشديد فترى نفسك تقوم من مكانك تتحرك قليلًا ثم تعود، وهذا من تشويش الشيطان ولذلك استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فلا يقوى الشيطان على اسم الله، ولكن استعذ بصدق وستجد قراءتك مختلفة.

4- اقرأ قراءة حية، لا تقرأ قراءة ميتة، وعندما نقول قراءة حية فنحن نعني أن تستحضرها بلسانك وبقلبك.

الشيخ الألباني حينما شرح هذا الحديث: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به». رواه مسلم. أذن تعني يسمع، فيقول الشيخ الألباني أي أن الله - عز وجل - ما استمع إلى شيء من كلام الناس كما استمع إلى من تغنّى بالقرآن، يعني من قرأه و رتله، وأنت عندما تقرأ القرآن قراءة شجية بعواطفك ومشاعرك وعند المقاطع الحزينة يتألم فيها صوتك، وعند ذكر الجنة والشوق إليها يعلو صوتك، اقرأ وتذكر أن الله - عز وجل - يستمع إليك، وفي صلاتك حاول أن تتغنى بالقرآن، ونرى البعض لا يقرؤون القرآن بصوتٍ عالٍ ودائمًا يقرؤون همسًا، فتراهم لا يذكرون حتى متى آخر مرة قرؤوا فيها بصوتٍ عالٍ وقد تكون في إذاعة المدرسة! ولكن من المهم أن تتغنى بالقرآن وتقرأه قراءة حيّة تكون في صفاء وهدوء وذهن غير شارد، ولذلك نحتاج أن نضع حدًا لألاعيب الشيطان وألا نستسلم له حين يُشغلنا وقت قراءة القرآن، فنقرأ على تمهّل.

تقول واحدة من الأخوات أنه كان بينها وبين زوجها مشاكل استمرت لسنين حتى أدت بهما إلى الانفصال، فعادت لمنزل أهلها وعندما جاء رمضان ودخلت صلاة التراويح مر القارئ الإمام على قول الله - عز وجل : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ)(الفرقان:٢٠). فوقعت الآية في قلبها! منذ سنيين وهي في مشاكل مع زوجها وكانت تقرأ القرآن، ولكن تسمع هذه المرة بذهن صافٍ فكان لها وقعٌ مختلف! أيمتحننا الله - عز وجل - بالصبر؟ الحياة ليست رفاهية، نحن هنا نواجه الفتن، إما فتنة سراء وإما فتنة ضرّاء، وهذه المرأة تأثرت كثيرًا بهذه الآية وتصالحت مع زوجها وعادت له، إذًا الآيات فيها بركة، ولذلك قد يأتي اثنين بينهما خصام أو جدل ولكلٍ منهما حجة ودليل، ثم تأتي آية في القرآن من ثلاث كلمات تُنهي هذا كله (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)(النساء:١٢٨). فتُنهي كل هذا الخصام وكل هذا الجدل، القرآن مادة للحياة وكلما قرأناه أكثر، كلما كان أثره في حياتنا أكبر.

5- أن تقرأ مع التفسير، ومن التفاسير الجميلة وبلغة سهلة تفسير الشيخ عبدالملك قاسم "عقد الجمان" الكتاب من تأليف بدر الديني العيني، فهل تقصد الكتابين؟ فهذا تفسير سهل ومختصر قد يناسب كثير من الناس، وبعض الناس لديهم ختمة في كل رمضان وختمة تفسير من التفسير المختصر والتفسير الميسر، والتفسير الميسر الموجود في طبعة الملك فهد قام عليه مجموعة من العلماء وطلبة العلم وهو تفسير مجموع من أكثر من تفسير من أمهات الكتب،

فاجعل لك ختمة في التفسير، وختمة في أسباب النزول، وتفسير السعدي، ومن الأشياء الجميلة التي ممكن أن تضيفها هو قراءة الكتب التي تتناول شرح السور بصفحة أو صفحتين مثل كتاب البطاقات القرآنية أو كتاب بطاقات التعريف الذي تم تحت إشراف مشروع تعظيم القرآن في جدة، هذا الكتاب بكل سورة من سور القرآن يعرّفك على موضوع السورة ومحاورها وفوائد منها، فقراءة هذا الكتاب تجعل قراءتك للقرآن مختلفة،

فسورة الحديد مثلًا لا نعرف عنها إلا أنه ذكر فيها الحديد وممكن أن نقرأ قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الحديد: ١). ثم نبدأ بالسورة، ولكن فرق بين أن نقرأها هكذا وبين أن نفتح بطاقات التعريف ونتعرف على أن سورة الحديد موضوعها الإيمان وأنها نزلت لتحقيق الإيمان، وذكرت فيها ثمانية عوامل لتحقيق الإيمان فذُكر العامل الأول في الجزء الأول من السورة وهو معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، ثم يأتي العامل الثاني في آيات الإنفاق، ثم الآيات التي تليها عن الدار الآخرة، وإلى أخره، إذًا هكذا نقرأ ونحن نعرف المحاور وتصبح قراءتنا متسلسلة وفيها مشاعر مختلفة وقد فهمنا ترتيب الآيات وخدمة الهدف الأساسي في موضوع الإيمان، إذًا هذه النقطة تساعد في تدبر القرآن .

وبعض الناس يفضلون مشاهدة مجالس التفسير، التي فيها مجموعة من المشايخ وبينهم الشيخ عبدالرحمن الشهري، فهؤلاء عندهم مجالس تدبّر جميلة ومن أجمل البرامج، موجود على اليوتيوب لمدة خمس سنوات، هذه المجالس يدرسون فيها القرآن جزءا جزءا ثم سورة سورة ويتدبرون معانيها، هذه خمس مفاتيح كما ذكرنا لننشئ لنا علاقة مع القرآن ولنعيش مع القرآن.

فأسأل الله - عز وجل - أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن وخاصته وأن يجعلنا ممن يستمع الذكر فيتّبع أحسنه والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها